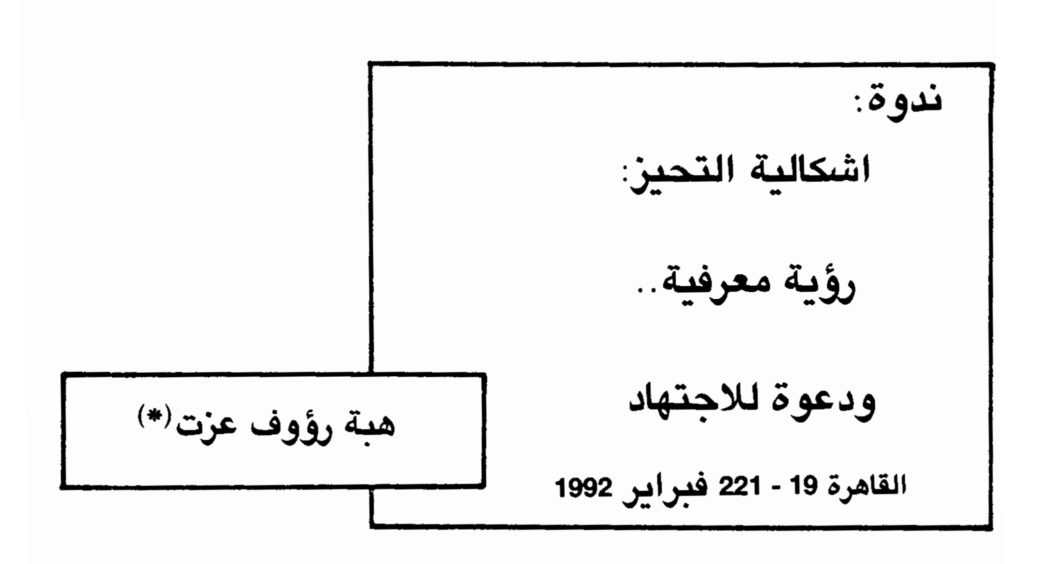

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية



ندوة:
اشكالية التحيز:
رؤية معرفية..
ودعوة للاجتهاد

القاهرة 19 - 221 فبراير 1992

هبة رؤوف عزت(*)

في هدوء وبعيداً عن الصخب والضجيج الإعلامي، وفي جو علمي جاد اجتمع في القاهرة في الفترة من 19-21 فبراير أربعون باحثاً وباحثة من كل التخصصات ليناقشوا على مدى 12 ساعة يومياً إشكالية التحيز في العلوم الغربية ـ الإنسانية والطبيعية ـ محاولين رفع الإشكالية للمستوى المعرفي لتبين التحيز الكامن في المشروع الغربي العلماني، لا ضد الإسلام ديناً وحضارة، بل ضد الإنسان. ومن هنا جاء هذا التجمع معبرا عن توجهات عدة في داخل السياق الحضاري الإسلامي يجمعها في النهاية الإيمان بمحورية الإنسان في هذا الإطار الحضاري، و«لاإنسانية» النسق الغربي وخطره، لا على ذاتنا الحضارية فحسب بل على المشروع الانساني ككل.

وقد قدم من أجل المشاركة باحثون من فلسطين والسعودية وتونس ولبنان والسودان وسوريا كما شارك باحثون مقيمون بالقاهرة من الأردن والعراق، في مظاهرة علمية رصينة، نزعم إن القاهرة لم تشهد مثلها منذ فترة طويلة، وقام بتنظيم الندوة كل من نقابة المهندسين والمعهد العالمي للفكر الإسلامي (مكتب القاهرة) ليخرجوا إلى النور فكرة حملها د. عبد الوهاب المسيري لسنوات عديدة وتبادل بشأنها الحوار مع العديد من الباحثين، وحمسهم للكتابة في الموضوع بشكل إجتهادي إلى أن استوت القضية على الجودي «ودعمتها الهيئات لتخرج إلى النور في شكل مؤتمر محدود جمع المشتغلين بالقضية، ليفتح بذلك باب الإجتهاد للجميع ويمثل تمهيداً لإصدار كتاب يجمع الأبحاث المختلفة التي قدمت ويتسع ايضاً للإسهامات الجادة التي تقدم قبل طبعه.

(*) معيدة بقسم العلوم السياسية ـ كلية الاقتصاد ـ جامعة القاهرة.

التحيز ـ تحديد المصطلح:

لأن تحديد المفاهيم هو أهم عناصر المنهج العلمي، فقد خصصت الجلسة الاولى للبحوث المقدمة في قضية المصطلح وتم تحديد ملامح مصطلح التحيز بداية، وتقسمه إلى: تحيز للعدل وتحيز للهوى، والشروط الموضوعية اللازمة للتحيز للعدل، وبيان إن التحيز هو في النهاية تعبير عن اختيار حضاري، المهم هو أن يكون واضحاً ومؤسساً على أسباب موضوعية، فالوضوح يجنب الباحثين خطأ التعامل مع الشيء كمسلمات، والموضوعية تتيح تقويمه وتحديد الموقف منه. أما الظن بعالمية المشروع الغربي دون تمحيص او تبين فهو الخطأ بعينه. (د. علي جمعه).

وفي هذا الإطار تم تناول موضوعات التحيز في العلاقة بين الدال والمدلول (د. عبد الوهاب المسيري) والتحيز في المصطلحات في العلوم الإنسانية (د. محمد عمارة ود. صدقي الدجاني). والتحيز في تحليل الخطاب وكيفية كشفه بآليات لغوية (د. أكرم سعد الدين).

كما تم في تلك الجلسة الأولى تناول التحيزات المعرفية في الرؤية الغربية الحديثة للعالم (أ. فؤاد السعيد). وقدم أحد الباحثين دراسة لادراك التحيز والإستمرار فيه، أو العدول عنه لدى عدة مفكرين معاصرين مثل د. جلال امين، و أ. طارق البشري، ود. سيد دسوقي ود. عبد الوهاب المسيري (أ. إبراهيم غانم).

التحيز في مجال الأدب:

وانتقل الباحثون في الجلسة الثانية لتناول التحيز في الأدب، إبداعاً ومنهجاً، فقدم د. سعد البازعي دراسة في «ما وراء المنهج وتحيزات النقد الأدبي الغربي». وطرح د. شكري عياد رؤيته للتحيز في منهج الأدب المقارن، وانتقل د. أحمد حماد في ورقته إلى دراسة الأدب العبري وأزمة الهوية في المجتمع الصهيوني». واوضح د. عصام بهي التحيزات ضد وفي كتاب د. طه حسين «مستقبل الثقافة في مصر». واختتمت د. فريال غزول الجلسة بعرض لأشكال المقاومة للتحيز في أدب العالم الثالث، وأبرز النقاش الدائر أن الأدب برغم ارتباطه بالإبداع وجوانب العالمية فيه، يحمل في مناهج النقد او المقارنة، كما في الأبداع ذاته وصياغة الشخصيات تحيزاً للرؤية الغربية يجب إدراكه ومقاومته، لا بالخطب الرنانة بل ببلورة اقترابات ومناهج اكثر تفسيرية وعالمية وابداعات قوية اكثر تعبيراً عن واقع الانسان.

التحيز في الفنون والعمارة:

أما الجلسة الثالثة، فقد جمعت على المنصة ابرز فنانين تشكيلين في مصر: مصطفى الرزاز وعمر النجدي حيث رأس الاول الجلسة، وقدم الثاني بحثه عن البعد الخامس أو كيفية استخدام الاتساع والفراغ والتعبير عنه في العمل الفني وتميزت الجلسة بالجانب التطبيقي حيث عرض الباحثون أعمالهم من خلال اللوحات وآلات عرض الصور بالألوان (السلايدز) حيث قدم المهندس د. راسم بدران رؤيته للتحيز في العمارة وعرض نماذج لأعماله، وكذلك الدكتور عبد الحليم ابراهيم والمهندسة سهير حجازي. وركزت الأبحاث على تفاعل القيم الاسلامية في وجدان الفنان والمهندس المعماري مع إبداعه، وأهمية إستخدام الخامات المحلية مع الاستفادة من التكنولوجيا الغربية واهمية تجانس العمارة مع السياق الحضاري الأوسع. أما المهندس محمد مهيب فقد ركز على العمارة الداخلية والأثاث مستعرضاً أبرز تطوراتها، ومعطياً نماذج من أعماله التي تحاول الجمع بين التصميم المتميز والصناعة الحرفية الماهرة التي تستعين بالآله لكن تبتعد عن التنميط والآلية. وشارك في الجلسة. د. نذير العظمة الذي طرح موضوع «إشكالية الصورة بين الفقه والفن» كما تقدم د. محمد عبد الستار عثمان ببحث عن المنهج الإسلامي في دراسة المدينة الإسلامية.

العلوم الرياضية والهندسية ليست منضبطة

وفي الجلسة الرابعة التي تناولت محور التحيز في النماذج الرياضية والقوانين الطبيعية والتجنولوجيا فجرد ممدوح فهمي قضية انضباط النماذج الرياضية، شارحاً إن العلوم الإجتماعية تلهث وراء الضبط الكامل محاولة التأسي بالعلوم الرياضية. في حين أن الأخيرة ليست بهذا الضبط فهي تحدد المتغيرات التي لا يمكن تحديدها في الواقع. وبذا يبقى هناك على حد التسمية الغربية «عنصر الخطأ»، والذي هو في جوهره ـ مؤشر على عدم قدرة الإنسان في النهاية على التحكم الآلي الكامل في الكون. وهو ما يفسره الاطار الاسلامي بمساحة «الغيب» و «القدرة» وفجر قضية «النفع» في العلم البحت ومدى الاستفادة منه في حياة الناس وواقعهم، أما الدكتور أحمد فؤاد باشا استاذ العلوم فقد أثار إشكالية التحيز في تاريخ العلم والتقنية وأهمية دراستها وغيابها الفعلي في مناهج التعليم وعقليات العلماء، وطرح كل من د. أسامة القفاش ود. صالح الشهابي في بحثهما المشترك قضية الذكاء الصناعي بين الآلة والإنسان، وربط تكنولوجيا الكمبيوتر في الغرب بتسويقه في العالم الثالث، فالقضية ليست عملية بحته، بل هي ذات إبعاد إقتصادية يجب أن ندركها ونختار مستويات تعميم التكنولوجيا والمرحلة العمرية، حتى لا تقضي على

حرية ابنائنا ولغتهم وعقلهم، وقدم د. حامد الموصلي تأملات عن التكنولوجيا والتنمية وشرح أهمية بلورة تكنولوجيا محلية تفهم مواردنا نتعامل معها بابداع وتفاعل، شارحاً تجربته في هذا المجال في التعامل مع الخامات المحلية، وأهمها جريد النخل وتصنيع الأخشاب منه بكفاءة عالية تضاهي الأخشاب المستوردة وفي الختام عرض د. سيد دسوقي تعقيبه على الابحاث واهم أفكار البحث الذي أرسله د. محجوب عبيد طه بعنوان: عقائد فلسفية خلف صياغة القوانين الطبيعية».

التحيز في العلوم الإجتماعية

وفي الجلسة الخامسة التي امتلأت بالأبحاث عن التحيز في العلوم الإجتماعية قدم. د. محمد الذوادي بحثاً عن «الموضوعية والتحيز في مقدمة ابن خلدون» وطرحت د. نادية مصطفى أستاذ العلاقات الدولية ملاحظاتها المنهاجية بعد دراسة امتدت خمس سنوات للتاريخ الإسلامي ومناهج دراسته والتي ضمنتها دراستها بعنوان: «الدولة العثمانية: أبعاد التحيز في دراسات النظام الدولي وفي دراسات التاريخ الإسلامي » كما قدم الأستاذ عادل حسين بحثاً عن «التحيز في المدارس الإجتماعية الغربية» خاصة دراسات التنمية الاقتصادية، كما طرحت أ. هبه رؤوف في بحثها اشكالية التحيز ضد الأسرة كوحدة اجتماعية في موضوعات علم السياسة وإرتباط ذلك بالخبرة التاريخية الغربية في تطور الدولة والعلمنة. وبعد استراحة قصيرة قدم د. جلال معوض بحثه عن «المادية الأمريكية وعلاقة المتغير الاقتصادي بالتطور السياسي» وتبعه د. نبيل مرقص في عرض دراسته حول «ممارسات البحث الإجتماعي بين الهندسة الإستعمالية القسرية والحوار الثقافي والإنساني الخلاق» وأختتمت الجلسة ببحث الأستاذ هشام جعفر حول أهمية الالتفات للتحيز داخل الكتابات العربية، في تناولها للمفاهيم الاسلامية وفق تعريف التحيز، متناولاً مفهوم «الحاكمية» وأبعاده والتحيز في التعامل معه، ومثل تعقيب الاستاذ المستشار طارق البشري على الأبحاث إضافة هامة في نقاط كثيرة، مؤكداً على استحالة أن يكون لأمتنا حضور طالما ظلت تتحدث عن نفسها، مقلدة للغرب، بضمير الغائب.

التحيز في التعليم والفلسفة:

في الجلسة السادسة والأخيرة استكمل عرض بعض الأبحاث حول العلوم الإجتماعية مثل بحث د. رفيق حبيب حول: العلوم الإجتماعية بين التحديث والتغريب، والذي ابرز فيه اهمية دراسة تاريخ العلم حيث إنه اكتشف اشكالية التحيز بدراسته لتاريخ علم النفس، وقدم أ. محمد شومان بحثه حول: التحيز والموضوعية في قياسات الرأي العام وتضمنت الجلسة بحث د. سعيد اسماعيل على الذي تناول التحيز في التعليم مناهج

ومؤسسات وأهمية دراسة التعليم كجزء لا يتجـزأ من بناء مجتمعي أبـرز جوانبـه الإدارة السياسية، مؤكداً إن إسلامية التعليم ليست نصوصاً فقط بل منهج تفكير وتعامل مع العملية التعليمية بجميع عناصرها وطرحت د. هدى حجازي قضية التحيز في المقررات الدراسية مع إعطاء نموذج للتحيز في دراسة مناهج التربية عند العبرانيين واليهود والأخطاء التاريخية في تلك الدراسات مما يوحي بوحدة التربية اليهودية، وأشـارت «إشكاليـة التحيز داخـل التحيز» أي طرح أفكار لمفكري الغرب بشكل انتقائي حتى يتم اسغلال مقـولات دون أخرى لخدمة قضية ما. وكان آخر الأبحاث هو بحث د. يوسف سلامة حول الاستعارة الإيديولوجية والتحيز المنهجي، حيث بيَّن أهمية إدراك التميـز الثقافي والمنهجي لكـل حضارة، وموضحاً أنواع التحيز، البسيط منها والمركب، مؤكداً على أهميته الجذرية في التعامل مع القضايا الفلسفية.

هذا وقد تميز المؤتمر بمجموعة من الملامح

* **أولها**: الإطار المعرفي الذي حاول الإلتزام به في الابحاث والمناقشات، ووضع الأمور في مستوى نظري حتى لا يفقد العقل الحضاري الإسلامي الرؤية الشاملة بفعل تجزؤ العلوم وذرية الدراسات.

* وضعه الإشكالية في إطار إنساني فالتحيز ليس فقط للذات والتراث. بل هو تحيز للإنسان الذي يؤدي الفكر والواقع الغربي لتجاهل بل وسحق إنسانيته، وهو ما يجعل هذه الجهود المعرفية لوناً من ألوان الجهاد المعرفي، والقيام بدور حضـاري عالمي لم يعـد يحمله أحد.

* فتـح باب الحـوار بين عقول عـديـدة جمعهـا الهم الحضـاري رغم اختـلاف التخصصات بل والتوجهات وهو ما يعني على المستوى العملي إننا يمكن ان نوحد العقول والجهود في قضايا مشتركة بدلاً من تكريس الفرقة حول قضايا خلافية.

* إهتمامه ببلورة آليات لكشف التحيز ومواجهته مع تقديم إيداع واجتهاد نابع من حضارتنا لا يمثل رد فعل للآخر ولا يتجاهله في الوقت ذاته، وهو ما يربط ـ من خلال آلية الاجتهاد ـ البحث النظري بالعمل التطبيقي، ويهدف في النهاية لبلورة ما ينفع الناس في هذا العصر.